الفصل الثاني

اللغة والظاهراتية

٢- اللغة والظاهراتية

/ إن الظاهراتية، وبوجه خاص بحث متعمق للفكر واللغة، وللعلاقة بينهما، على نحو ٥٤
ما أظهرهما هوسرل في الجزء الثاني من كتابه "بحوث منطقية"، وقدم أيضاً للبحث اللغوي النظري معينات فكرية جوهرية جداً لتأسيسها المفهومي. وهذا ما ينبغي أن نتناوله هذه النظرة.

ولكلمتنا الألمانية "Sprache" (لغة) وفوق الإمكان معنى مزدوج أو حتى ثلاثة معان. فهي تعني:

١) (هذا ليس مستعملاً كثيراً): الحدث الكلامي الفعل المفرد الجاري في الزمن: "يستدرج للكلام عن شيء (يستنطق)" أو "ينعقد لسانه" (مساوٍ في المعنى "معقود اللسان/عاجز عن الكلام"). وبوجه عام يستخدم المرء هنا بالأحرى "Rede" (كلام) أو "Außerung" (منطوق)، أو مركبات لإعرابية معنوية، مثل: "قول (خبر)"، و"نطق (تلفظ)"، و"حديث"، و"محادثة"، و"دردشة (ثرثرة)" - واللفظان الأخيران دالان على صيغتين خاصتين من ناحية اجتماعية نفسية.

٢) (المعنى الرئيسي): اللغة بوصفها بنية عقلية، كلاً غير فردي مستقراً من التراث من معان وأمثال جماعة ثقافية لأبنية دلالية، وتوجد مهيئة للتوظيف لكل متحدث مفرد، وكل فعل كلامي مفرد. هذه الوحدات للمعنى والبنية هي اللغة الألمانية، والإسبانية، والصينية... إلخ وتشكل صيغ فرعية (تحتية) إقليمية اللهجات، وصيغ فرعية اجتماعية اللغات الخاصة، مثل لغة الصيادين، أو الجنود، ولغة المنبر، وقاعة المحكمة، وتعد صيغ خاصة جمالية لغات أفراد، مثل لغة شيلر، حيث يتحدث المرء لذلك بشكل أكثر عن "أسلوب" أو "طريقة تعبير" غير ملزمة.

وتقابل هذين المعنيين جانبان مهمان أساسيان لما هو لغوي، هما الكلام "Sprechen" بوصفه فعلاً فردياً مختصاً، ومقيداً بزمن، واللغة "Sprache" بوصفها بنية، مجموعاً متوارثاً من معان مصوغة بإحكام، وكذلك نماذج تركيب راسخ، ملكية جماعة لغوية، ومن ذلك يسمى الجزء الثاني بوجه خاص "النحو" (القواعد). ولكن يوجد أيضاً معنى آخر لكلمتنا:

٣) اللغة بوصفها فكرة. "اللغة تجعل الإنسان إنساناً"، و"فقد

اللغة (= صار أبكم). لهنا لم تعد تقصد لغة معينة، لما هي الحال تحت ٢)، بل القدرة على الكلام بوجه عام؛ والحالة ٣ بوضع علاقة أقرب إلى ١).

٥٥ / وبالنسبة لهذه المعاني المختلفة تملك شعوب أخرى دوال منفصلة بشكل أوضح؛ فالإنجليزي تفرق بين "speech" (كلام)، و"language" (لغة) مثل اللاتيني "sermo" (كلام)، و"lingua" (لغة)، وليس لدى الفرنسي "parole – langue" فقط، بل دال ثالث هو "langage" الذي يطابق إلى حد ما المعنى الثالث لنا.

انجاز اللغـة

اللغة، كل لغة نظام علامات، مكونة من علامات صوتية، تتجسد فيها معان، معاني المجموعات الصوتية المفردة، نطلق عليها "كلمات"، ومعان وظيفية، تلتصق بنماذج تركيب مقدمة بشكل موروث. وتستخدم الكل للإبلاغ (للإخبار)، ومن ثم الاتصال بين إنسان وإنسان. اللغة إذن أداة اجتماعية، وعلى كل حال هذه هي وظيفتها الرئيسية. وبذلك نجد أنفسنا تماماً في مستوى اللغة بوصفها فعلاً. ولأننا نستخدم لأغراض، أطلق أفلاطون على اللغة "أورجانون" (أداة/آلة). والكلام يعرض أن ينشد من خلال الإبلاغ التأثير في الآخر، أن يدعوه إلى شيء. اللغة "نداء" (Appell) كما قال بولر. ويمكن أن تفي أيضاً بوظيفة النداء (دعوة) هذه هناك حيث لا يتحدث في طلب مباشر، في صيغة أمر. حين أقول: "القطار يقوم في التو"، فإن هذا يعني "اعمل بسرعة" أو "تعال". وهكذا يكون الإبلاغ في الكلام عادة غرضاً لذاته، فوله أغراض متجاوزة له. وربما كان الإبلاغ محض بلا غرض – إنما قدمته بوجه عام – إن صح التعبير نقطة زائفة ناقصة في الحدث اللغوي. وعلى هذا النحو إلى حد ما يوجد على كل حال في حوليات تاريخية، حيث يسجل حدث بشكل محض لأهمية نظرية. وبشكل أكثر ندرة في دردشة أو محادثة بلا غرض بشكل ظاهر، ويبحث ثم عن غرض من نوع غير مباشر: متعة التعايش (الائتناس) الإنساني.

وليس الإبلاغ الوظيفة الوحيدة للغة بوصفها فعلاً. ويوجد كنه

وتكون بشكل أصلي من ناحية تاريخ التطور طبقة وظيفية أكثر جوهرية. Philoktet
وتعد نداءات، مثل "واأسفاه"، و"ياويلي" أو "الآه" و"الأوه" لفيلوكتت المعذب لدى سوفوكليس ليست إبلاغاً ضرورة، فهي ابتداءً وقبل أي شيء تعبير عن أحوال وأحداث داخلية، تفريغ لتوترات داخلية في أصوات وتتابعات صوتية؛ والمنطوق الصوتي هنا تعبير أو بشكل أفضل ما قال بولر: إعلان (Kundgabe). هذه صفة للحدث اللغوي. لا يستأثر الإنسان وحده بشكل بالغ الوضوح، فهي موجودة في مملكة الحيوان لأن صياح الألم أو الخوف أو الغضب للحيوان ليس شيئاً آخر، فهي أيضاً ردود فعل صوتية على حال داخلية أو حادثة قادمة من الخارج. وفضلاً عن ذلك أيضاً الوظائف الأعلى لمنطوق صوتي، وظيفة الإبلاغ، ووظيفة النداء (والاستجابة)، / ليست منحصرة تماماً في الإنسان. فحين يرعى قطيع ظباء فإن الحيوان القائد ينبهه بحدة لخطر محتمل، وحين يطلق صافرته التحذيرية، فإن السرب كله يتطاير من ذلك. وهكذا فليس بصحيح على نحو مشدد حين يقول المرء: اللغة تفصل الإنسان عن الحيوان، بل يجب أن يقول إنه هو المنطوق بشكل متنوع ابتداء، وهو المتعدد الطبقات. وهو المتقدم عبر معان فردية إلى مركبات دلالية، الذي لم يعد ينجز لغة عامة. ٥٦

وإذا نظر المرء إلى الأمر من ناحية تاريخ التطور فإن صافرة الظباء في الأصل بالتأكيد تعبير محض عن المذعر، والوظيفة الاجتماعية نمت فيه في وقت متأخر من الخبرة المشتركة بين حيوان يقود ومجموعة. ولدى الإنسان أيضاً من الممكن أن يتمثل في المنطوق الصوتي على أنه حدث فردي، وقد كان في الأصل، أجل وما يزال كذلك. ولكن في وجودنا الاجتماعي تتجه الأصوات المتلفظة في الغالب إلى السامع، الذي ينبغي أن يشترك، وينبغي أن نعلم بوجودنا. ولذلك يقول بولر من "تعبير" بشكل أحرى "إعلاناً" لأن إعلان تشير على نحو بديهي إلى إعلام السامع. ويؤثر مصطلح بولر بوجه خاص أيضاً لأن المصطلح "تعبير" متعدد المعنى. ويستخدمه هوسرل تحديداً بمعنى مخالف تقريباً لوصف معنى منطقي. ويدرك كروتشه مصطلح "تعبير" بوصفه تصوراً مؤدى من خلال إصدار لفظ إلى الوضوح،

حيث نقف بذلك عند حد اللغة بوصفها فعلاً، وبنية.

ولا يستخدم النشاط اللغوى للإعلان أو للتأثير، بل فى العادة لكليهما. فجملة مثل "القطار يتحرك حالاً"، كما رأينا، هى بشكل واضح إبلاغًا (إخبارًا) موضوعيًا، ومن خلال هذا نداء، ولكن إلى جانب الكلمات يلوح بسهولة فى النغمة المصاحبة بشئ ثالث، إعلان الغضب: "ألا تستطيع أن تفعل بشكل أسرع؟"

وترجع اللغة إلى دفع الضرورة والحاجة، ولكنها لا تبقى حبيسة فى ضيقة الوجود للحاجات الحيوية، فهى تنمو فضلاً عن ذلك هناك، حيث لم يعد الإعلان والإبلاغ ينبثقان من ضرورة الوجود، بل من الرغبة فى وظيفة قوى (طاقات) روحية (دوبو) و- خطوة أبعد من الحاجة السامية لإنسان موهوب بدرجة أعلى لتشكيل رؤياه والإبلاغ عنها؛ هنا ننتقل إلى عالم اللغة بوصفها عملاً فنيًا ولذلك نريد أن نحافظ على الكلمة "تشكيل" Gestaltung إلا أنه بمعنى آخر تقوم اللغة بوظيفة معفاة من ضغط الحاجات القريبة: إنها حسب همبولت، آلة إنجاز العالم، أو كما يقول هايدجر، تفسير للوجود. وهكذا أسس فى اللغة جزء مهم لفلسفة أولى. المنفصل عن الحاجة الضرورية يفسح بداهة من جهة أخرى مساحة أيضًا لصيغ جديدة إيجابية يصورة دنيا: "للحديث"، الذى يعنى حسب هايدجر طريقته لفهم ٥٧
الوجود اليومى وتفسيره. للكلمة: دردشة نغمة أقل قيمة، ونشير بذلك إلى الجانب الأقل إيجابية لهذا التأكيد الكلامي الحر لاستخدام لعناية البشر بعضهم ببعض.[1]

---

١) يفرق هوبس (Leviathan I 4) ليوياثان بين طرائق الاستخدام الآتية للغة:
"الاستعمال العام للكلام لنقل خطابنا العقلى، إلى لفظى، أو تسلسل لأفكارنا إلى تسلسل لكلمات، وذلك من أجل عمليتين؛ منهما الأول تسجيل نتائج أفكارنا، التى هى عرضة لأن تنزلق من ذاكرتنا، و تدفعنا لمهمة جديدة، ربما تستدعى مرة أخرى بمثل هذه الكلمات، كأنها وسمت. وهكذا فإن الاستعمال الأول للأسماء لخدمة علامات أو مذكرات للتذكر. والآخر هو حين يستعمل الكثيرون الكلمات ذاتها ليعبر (بواسطة ترابطها ونظامها) أحدهما للآخر عما يتصورون، أو يفكرون فى كل أمر، ومن ثم ماذا يرغبون، يخشون أو لهم أى شغف آخر. ومن أجل هذا الاستعمال تسمى علامات. والاستعمالات الخاصة للكلام هى هذه: أولاً لتسجيل ماذا عن طريق التفكير نجد ليكون السبب لأى شئ، فى الحاضر أو فى الماضى، وماذا ←

وبالإنجازات المهمة تُثبت اللغة في السياق الحياتي. وفي الغالب قد زعم أحد هذه الإنجازات بشكل مطلق جوهر اللغة: الإعلان لفونت (أو لما قال: التعبير) بالنسبة له اللغة حدث حسي بشكل محض - التأثير من خلال الإبلاغ (وظيفة النداء) لمارتي، وبذلك تصير اللغة حدثًا غائيًا بشكل محض - العرض لهوسرل، وبولزانو. ولكن يفترق العرض عن الوظائف الأخرى المقيدة بغرض، إذ إنه ليس وظيفة، وغير موجه لغرض، بل طريقة وجود للغة بشكل مطلق، اللغة تعرض من خلال نظام علامات محملة دلاليًا، في العادة علامات صوتية، نظام يتيح لعرض موضوعات (أشياء) وأحوال خارجية وداخلية.

المعنى والمدلول

٥٨ إن المعنى هو المفهوم المحوري الفعلي للنظرية اللغوية. وقد بحث هوسرل بتفصيل العلاقة بين علامة ومعنى، وفي الواقع ليس بالنسبة للعلامات اللغوية الصوتية فقط. وتبعًا لذلك تكون علامة ما دائمًا علامة لشيء، وذلك فقط لمن تفهم علاقات (أو حبر ربط)، للمخلوق الذي وهب عقلاً. ولكن ليس لكل علامة معنى أو « تعبّر عنه » كما يقول هوسرل، ويتيح التعبير الإرادة المعبّرة. وفي الطبيعة تقابلنا أيضًا علامات من نوع آخر، يُسمّى أمارات، ولاتقع خلف إرادة معبرة. فالعظام المتحجرة أمارة على كائن حي في فترة ما قبل التاريخ. والرياح الغربية أمارة على غيث قادم. وعلى العكس من ذلك كرة العاصفة التي تجذب على الشاطئ للتحذير علامة حقيقية، مثال دنيا لتفاهم لغوي في شكل عام. وتوجد أيضًا أمارة في مجال اللغة الإنسانية، أي فيما أسميناه إعلانًا. وبالنسبة للملاحظ نداء (صوت) الألم أمارة على الحال الداخلية للآخرين، حيث

= تخبر من أشياء حاليًا أو فيما مضى ربما تنتج أو تؤثر: أي بالمختصار ليست فنونًا (مهارات)، وثانيًا العرض على الآخرين أننا المعرفة التي أحرزناها، أيا كانت، للتشاور، لنُعلِّم الواحد الآخر. ثالثًا لتعريف الآخرين برغباتنا، وأهدافنا، أننا ربما لدينا المساعدة المتبادلة. أن يساعد أحدنا الآخر. رابعًا لنرضي ونبهج أنفسنا، والآخرين، باللعب بكلماتنا، للمتعة أو الزخرفة، بصورة بريئة (اللوياثان) Leviathan، تحرير ه. د. ليندساي ١٩١٤، ق. ١. ص ١٣).

تكون فيه إرادة الإبلاغ غير جوهرية. ويستطيع الآخر حتى أن يسعى إلى الإبدع بحالته، مثل فيلولكت المعاني لدى سوفوكليس.

والوظيفة الرئيسية للعلامات اللغوية للكلمات كانت أنها بمقتضى المعاني المجردة "تعبّر" عن شيء؛ ويقول هوسرل أيضاً إنها "تعني" أو "تقصد" شيئاً. فكل كلام وكل جزء كلامي يُعنى بالتعبيرات المنتجة موضوعات (أشياء) وأحوالاً، فهي حسب هوسرل "تعبيرات"، وهكذا أيضاً "تعبير" فهما اتصاليا تماماً. ولا يرى ما يقال على اللغة الصوتية فقط. فهو يرى أيضاً على أنظمة علاماتية مشابهة ليست مبنية من أصوات. هي لغة أيضاً، فهي تعني، وتبلغ، هكذا لغة الأعلام، ولغة الأصابع مثل الفالولي. وفي درجة أعمق، وعامة بشكل محض أسماء الأفواه (الماكر) أو علامات الملكية في الماشية. ويمكن أن يكون الإبلاغ أيضاً مقتصراً على تذكر لشخص، مثلما تثيره العقدة في منديل الجيب. وإذا راجع لدى هوسرل فهم التعبير بوصفه خروجاً مباشراً للخارج لأحوال داخلية، مثلاً في تعبير الوجه، في حركات البدن، راجع أيضاً المجال المتاخم للإعلان. ولدى هوسرل، وما رتى أيضاً يوجد الميل إلى قصر اللغة على وظيفة اتصالية، ووظيفة عقلية بشكل محض.

ويشير كل منطوق صوتي إلى جانبين: النص النفسي الفسيولوجي والمعنى المرتبط به بشكل ترابطي. وفي اهتمامنا للنقطة الثانية بوجه عام المزية، فنحن في كلامنا الحي نوجه تماماً إلى المعاني والأشياء (الموضوعات) المقصودة من خلالها، وهنا الجانب الصوتي قليلاً. إلا أنه أمر بالغ الأهمية، لأنه يتيح علاقة تأثير المتكلم في السامع. فهو يولد في السامع عادة المعايشة المماثلة للمعنى التي تحث من المتكلم على النطق. (بالنسبة للسامع لا تكون الأصوات علامات على ما هو مبلغ فقط، بل أمارات في الوقت نفسه: فهي تبين له المعايشات النفسية وأفكار المتكلم، وتوفر له "إدراكاً غريبا" بمفهوم شيلر). ٥٩

إلى أي مدى يكون الصوت جوهرياً بصورة ضئيلة بالنسبة للموجات اللغوية، نعلم، حين يتابع المرء هوسرل، حقيقة أن للتعبيرات دوراً في الحياة الروحية المنفردة أيضاً؛ وربما كان تفكير صامت وفقاً له كلاماً بألفاظ متصورة. لا أظن ذلك بوجه عام؛ فالكلام معقود بالفكر ولكن الفكر معقود بالكلام بشكل مشروط فقط.

وفى الحدث الكلامى لا توجد المعانى بشكل منفصل، بل منحصر فى
بنية، فى مركبات دلالة، شكلها الرئيسى الجملة. وفيها تعرض اللغة
موضوعات وأحوالا خارجية أو داخلية. ويتمنى هنا فصل اصطلاحى
للمعانى المفردة عن الأبنية التى تشكل منها. وأفرق بينهما بمصطلحى
معنى ومدلول. ويستعمل هوسرل كليهما بشكل متكافئ. ويطلق
على الأبنية "معانى مركبة". وفى رأيى للكلمة معنى، وللبنية
مدلول. والكلمة تعنى بمقتضى معناها موضوعا أو شيئا فى هذه
(الخاصية، الحال)، والبنية تعنى فى تحديد المدلول حالا أو موقفا
من هذه الحال. فـ "برق ورعد" معنى، و"يأتى برق ورعد"
أو "حين أتى برق ورعد" مدلولات. وبين معنى ومدلول فروق مميزة.

١- المعنى ثابت (على الأقل بالنسبة لفترة زمنية معينة). ويتغير
المدلول من حال إلى حال. وفى الواقع توجد أيضا فى جانب المدلول
قيم ثابتة، أى مخططات لجمل عامة بالنسبة لبنية مدلول. وتستخدم
مثالا على ذلك الجملة الافتراضية cubam peoticus foliavit.
من على علم إلى حد ما باللاتينية، فإنه يرى فى الحال أنه هنا حدث،
من المحتمل فعل، يقصد فى صيغة خبرية تامة (foliavit)، وأن
الكلمة pedius تشير إلى صاحب الحدث فى حالة رفع، والكلمة
cubam مفعولا فى حالة نصب. لكن أداء محددا للمدلول ليس
ممكنا، ولا توجد الكلمات المزعومة فى معجم.

٢- تعايش المعانى (مثل مخططات المعنى المذكورة أيضا)
بشكل ترابطى مباشرة، والمدلول الفعلى الفردى المختص يجب
أن ينجز بوعى.

وليس للجملة الكاملة فقط مدلول، فالأبنية الجزئية لها أيضا مدلول
هناك، حيث ما تزال علاقة ذهنية نحوية مقصودة. و"معسكر
فى النشابين" مدلول. وتشكل منطقة انتقال حقيقية المركبات التى ٦٠
تلاحظ فيها انتقالات من مدلول تركيب إلى معنى الوحدة بشكل
متنوع فى تاريخ اللغة مثلما فى الوقت الحاضر أيضا. فالمركب "Milchmann"
ما زال مدلول تركيب: "الرجل الذى يحضر اللبن (بائع اللبن).
"Hauptmann" (نقيب) (رتبة عسكرية) معنى وحدة. ومن
الواضح أن الانتقال إلى الوحدة هنا، حيث يرد اختزال صوتى:

junker (مالك من الأشراف)(من Jung-Herre (سيد شاب))، و Jungfer (عذراء/بكر)، و Nachbar (جار)، و Schulze (من الألمانية الفصحى الوسيطة schult-heize = "المدرب الآمر") (العمدة).

ويضع هوسرل أهمية على تفريق الاسم "معنى" عن الفعل "يعني". فأن يعني يحدث وفقاً له في الفعل الكلامي المختص، وهو حدث وهي واقعة نفسية فردية، والمعنى على العكس من ذلك بنية موضوعية ليس جزءاً منه وهي الفرد فقط، ولا يثبت مطلقاً في الآن وهنا، بل يتكرر في أفعال كلامية كثيرة للشخص نفسه أو أشخاص مختلفين تماماً ويتبع الجماعة اللغوية كلا. أن يعني حدث تجريبي لمدى تنوع إلى حد ما. وفي الواقع هو (هوسرل) محق، ولكن صياغته ليست مناسبة لغوياً. ولا نستطيع أن نستعمل "يعني" في مجال الفعل. فالمرء لا يستطيع أن يقول "عنيته فاعلاً"، بل يسمي، "وصفته فاعلاً" وإلى حد ما أيضاً "سميته خائناً". فـ"يصف"، و"يسمي" يمكن أن تدلا على أحوال فعل. ويقول هوسرل بدلاً "يعني" "يقصد" أيضاً، ولهذا أكثر مناسبة لغوياً، ولـ"يقصد" صلاحية في مجال الفعل: "أقصدك". وإلى جانب ذلك يستعمل هوسرل أيضاً الكلمة الأجنبية "intendieren"، التي يصدق على الشيء نفسه. وهكذا يفعل المرء بشكل أفضل، بأن يضع للاسم "معنى" (طبقة بنية) مطابقاً فعلياً فقط "يصف"، أو "يقصد" أو "يريد" (طبقة فعل). وفي ذلك تنتهي هذه الأفعال إلى الموضوع ذاته، ولكن مع كيفية مختلفة للفعل، فـ"يقصد" (meinen/intendieren) تعود إلى باعث الإرادة، و"يصف" إلى الإنجاز اللغوي الصوتي.

ويمكن أن يستدعى موضوع مقصود في الرؤية حالياً أو في الخيال، ويتحدث هوسرل عن قصد محقق. ـ أو الموضوع ليس معاصراً، إذن القصد خال من رؤية. وتحقق القصد ليس ضرورياً ولا حتى جوهرياً ومع تقدم اللغة، في حياة الفرد مع تدرب على المادة اللغوية، تتراجع التصورات الموضوعية الجلية أكثر فأكثر في مقابل التصورات اللفظية. ومن المركب الموحد الذي تمتزج فيه كلتاهما لا يدخل في كل الأجزاء، الحد الأدنى الضروري للفهم، في الوعي. وفي ذلك

تسود لدى البالغ التصورات المنطقية. ولم يعُد يتصور مطلقًا كثيرًا
المضمون المجرد. فاللغة تخفي مع التحقيق التام للعلامات مع رؤية،
61 فقط يجب أن تكون الأخيرة متوافرة في الخلفية (غوبشه وهي؟)
لماذا يحدث هذا على هذا النحو، هذا ما رآه لايبنتس بوضوح.
يقول: "إذن لو أراد المرء ألا يقول كلمة في الكلام، وحتى
في التفكير أيضًا، من دون أن يشكل صورة حقيقية من معناها
فإنه ربما يتحدث ببطء للغاية، أو يجب بالأحرى أن يصمت، وأن
يكبح بشكل ضروري مجرى التفكير أيضًا، وهكذا لا يذهب بعيدًا في الكلام والتفكير".

أما ما يسميه هوسرل "يعني" وإلى جانب ذلك بشكل أفضل "يريد" أو "يقصد" فهو تهيئة إرادية للموضوع بوساطة رموز صوتية. وحيث تثبت تجاوز رمز ومقصد دونما كنتيجة أجزاء صياغة لعرض عالم الموضوع، المعاني التي يُعيِّن مجموعها الثروة اللفظية للغة ما. وفيها تقع بشكل مهيأ للاستخدام نماذج التصور، مرتبطة بنماذج صوتية. هكذا يجوز للمرء أن يُسمي المعاني، التي يدرك بها عالم الموضوعات (الأشياء)، ويمكنه أن تثبت الملكية مستمرة.

ألفاظ إشارية

ترتبط بالمقابلة بين مقاصد جوفاء ومقاصد محقَّقة فصل مهم في إطار مكوناتنا اللغوية. فحين نطلب من المعاني أن تكون لا علاقات راسخة يمكن تحققها بوضوح بعالم الأشياء، فإنه ليس بصحيح أن يقال إن كل المركبات الصوتية ترتبط بمعانٍ. فكثير منها ليس حاملاً لمعانٍ حقيقية، وإنما يشير إلى هذه (المعاني) فقط. وهي نفسها لا يمكن أن ترد في علاقة التحقق. هذا يملك فقط المعنى المقصود منها ذاته. ويتبع ذلك بوجه خاص الجزء الرئيسي لضمائرنا، التي، كما تشي اسم pro nomine (بدل الاسم)، تدل على معنى تام، يمكن تحققه بوضوح. فإذا كان الحديث عن الصديق فريتس فإني يمكن أن أقول: "إنه قد انصرف". الهاء (هو) ليس لا معنى ثابت. إنه يمثل فقط في كل ذلك المعنى، هذه المرة المعنى "فريتس"، وفي مرة أخرى يرجع إلى شخص آخر، أجل إنه يمكن أيضًا أن يشير إلى شيء غير حي، مثلاً "Tisch" (منضدة). ومثل الضمير الدال على جنس "هو" لا تشير أيضًا

هـ ص.
⑨

"الذى"، "الذى هناك"، "هذا" إلى شىء ثابت، بل إلى شىء مختص.
ولذلك يتحدث هوسرل عن ألفاظ ذاتية فى مقابل الألفاظ الموضوعية (الألفاظ الاسمية، التى تشكل المكون الرئيسى لثروتنا اللفظية). ويدحض فى ذلك بقوة رأى هـ. پاول، الذى أراد أن يضيف للألفاظ الذاتية المعانى الحرفية (الاتفاقية)(١). فالألفاظ الذاتية هى تلك التى يمكن أن تستخدم فقط
/ من موقف الذات أو الموقف المشترك، الذى يوجد فيه متكلم وسامع. ٦٢
ذ. "أنا" يصف الذات التى تتحدث، وحين يجيب آخر، فإن هذا يقول "أنا"، والمتكلم الأول نسمى الآن "أنت". ويرجع "هذا"، و"الذى" إلى شىء أستطيع أن أشير إليه فى موقف واضح أو كان الحديث عنه قبل ذلك (الصديق فريتس). هنا يضاف الاستعمال فى قص متواصل، وتحديدًا أيضًا فى قص شعرى - خيالى، ما يسمى الاستعمال الإحالى: كان (يا ما كان) ملك له ثلاثة أبناء...".
ويتبع الألفاظ الذاتية أيضًا ما يسمى ظروف المكان والزمان، مثل "هنا، ثم، هناك، - الآن، فيما سبق، فيما بعد. وأداة التعريف أيضًا فى وظيفة مفردة، (وليس فى وظيفة معممة): "أغلق الباب". الأداة "الـ" لها تحديدها هنا من الموقف. وعلى نحو مشابه لـ "معرفة" يمكن أيضًا أن تقع ما تسمى الأداة النكرة: "هناك غزال". وبدلًا منه أو إلى جانب "هناك" الإشارية يمكن أيضًا أن تستخدم إشارة غير صوتية من خلال إشارة الأصابع، أو يمكن أن تسقط الإشارة تمامًا، حين يتحدث الموقف بشكل كاف. وفى الوقت الحالى من المألوف أن تذكر هذه الأنواع المختلفة لألفاظ إشارية Zeigwörter. ويتناول بوضوح ك. بولر فى الفصل الثانى من كتابه "نظرية اللغة". وتخترق المقابلة بين ألفاظ موضوعية وألفاظ ذاتية ثروتنا الكلية؛ وحين تكون الألفاظ الإشارية فى ذلك إلى حد بعيد فى مجال الندرة، فإن هذا لا ينتقص من أهمية النظرية.
وينشأ السؤال هل توجد ألفاظ ذاتية أيضًا تحت الأبنية، وبخاصة فى الجمل. ويقال كذلك إن أغلب الجمل المنطوقة فى الحياة اللغوية الفعلية تكون ذاتية باعتبار أنها تفهم من مكان المتكلم وزمنه، ومن "الآن، وهنا" الخاصة بها أو من "هناك وثم" المتصورة منه، برغم أن التوجيه

(١) هـ. پاول: مبادئ تاريخ اللغة، ١٩٢٧ ⁵، الفصل الرابع.

الذاتي، ما يختص بالمكان، يبقى دائماً تقريباً، وما يختص بالزمن
أيضاً يبقى غير ملفوظ غالباً في أقوال الحاضر. فالجملة "توجد حلوى"
تقع بوضوح مساوية لجملة "يوجد أوز أسود". ولكن الجملة
الأولى ذاتية، وتجيز ألا يعبر عن التوجه الذاتي فقط؛ وتسمى
أتم "توجد اليوم (مع القهوة) حلوى". هذا الإكمال الجاري لا تجيزه
الجملة الثانية. إنها الأخرى موضوعية، عقلية. وعلى نحو آخر تقع
مع أقوال الماضي والمستقبل - وهي تمتلك عادة علامات زمنية،
وهي تتعلق بمجال المتحدث. وتتبع علامات الزمن طريقة الإشارة التي لا
تُعدم إذن ألفاظ كاملة فقط، بل أجزاء لفظة أيضاً (سوابق، حشو).
وتكون ذاتية بشكل كامن كما يلاحظ بسهولة جمل الأمر والتمني:
"[أتمنى] صحة طيبة"؛ حيث يتضمن الموقف المستدل على الفرض
وسم المحمل المستعرض قبل ذلك. إنه يختص بوجه عام بأغلب الأقوال
في الحياة حدث مختص، باستثناء نمطين من جمل: ١) الجمل ٦٣
المفسرة: "المعرفة، والمقتبسة، مثل "الأرض كوكب"،
"يسمى المرء... كذا"، "يقول أفلاطون ...". هذه الجمل تنجز
مركبات دلالية غير مرتبطة بزمن، تابعة للمجال النظري، هي مثلاً
الإمارة بالجملة، والمثل. والمضارع المستخدم فيها ليس زمن الحاضر
إنه "مضارع بلا زمن". - ٢) ليست - ذاتية - جارية أيضاً الجمل
الخيالية للشعر؛ وهي تعالج بالفعل ما لم يحدث مطلقاً ولا في زمان ومكان.
هنا أريد أيضاً أن أسرد أقوال العلوم التاريخية. جمل مثل
"يفترض تاليس كسوف الشمس سنة ٥٨٥"، أو "بعد واترلو
يجب أن يعزل نابليون" تحمل أيضاً المؤشر الزمني لـ "في
أثناء ذلك"، ولكنه هنا ليس جوهرياً، ولا يجعل المنطوقات
ذاتية؛ إنها تقع أقرب إلى الأقوال السارية بوجه عام.

كيفيات الفعل

جوهر الأفعال اللغوية التوجه، القصد. هذا ليس من نوع مماثل، فمن الممكن أن تكون ثمة أنواع مختلفة جداً، يطلق عليها هوسرل "كيفيات الفعل". ويمكن أن يكون للفعل كيفية التصور، والحلم، والزعم، والسؤال، والتمني، والخوف. فإني أستطيع أن أقول:

الحق ينتصر	تصور
الحق سينتصر!	نغمة اقتناع، زعم
هل سينتصر الحق؟	جملة استفهام
أتمنى أن ينتصر الحق؟	جملة تمنٍ
إذا انتصر الحق...	جملة شرطية
في حال ما انتصر الحق...	جملة خوف

هذه ليست اختلافات المضمون الموضوعي، الذي هو مضمون مطابق، انتصار الحق، ولكن التوجه مختلف، ولذلك تعد اللغات الهندوجرمانية - على أرضية يجب أن نبقى هنا - سلسلة أبنية، وبوجه خاص الصيغ: الإثبات، والاحتمال، والتمني، والأمر، والتنبيه، والتخصيص، والتوسل. وتصف بعض اللغات أيضًا فروقًا أدق لكيفية الحدث، مثلًا في صيغة استدلالية تبرز ما هو غير معايش ذاتيًا في مقابل ما هو معايش ذاتيًا؛ هكذا التركية، ونحو آثار أيضًا في الألمانية. وبخلاف الصيغ الحقيقية الملازمة للفعل، وأفعال الصيغة الكيفية (يريد، يستطيع، يجب، يجوز، ينبغي) توجد أيضًا في عدد كبير ألفاظ صيغية ظرفية، مثل: بديهي، مؤكد، بوضوح، نادرًا، من المأمول. فيما يتعلق، حسب ألفاظ الاسم والإشارة، بصفة ثالثة لثروتنا اللفظية، الألفاظ الصيغية، وتتبع ذلك الإضافات المطابقة للصيغة. Modalwörter

٦٤ ثمة نقطة يمكن أن يتحدثوا بصعوبة باحثون لغويون ومناطقة، هي دور الحكم. فالمناطقة يعطون غالبًا أيضًا للجملة الخبرية (جملة القول) طريقة قصد الحكم، وكثيرًا ما يمدون هذا أيضًا إلى الأشكال الأخرى للجملة؛ فالجملة اللغوية تساوي ببساطة بالجملة المنطقية. وتضلل اللغة الألمانية في ذلك، لأنه في كلا الجانبين يستخدم المصطلح "جملة". والفرنسي أفضل في ذلك فهو يفرق بين "phrase" (عبارة)، و"thèse" (قضية)، والأخير فقط يوحي بعلاقة بالحكم. ولجملتنا الخبرية أنماط مختلفة؛ وتقع عقب الجملة المنطقية الجملة المفسرة، والجملة الحدية: "الحوت حيوان ثديي، — قطع المخروط هي ...". ويأخذ هوسرل أمثلته بشكل خاص من المجال الواقع عقب المنطق، للغة، مجال الرياضيات، الذي يرغب المرء حتى أن يسميه نطاقًا جانبيًا للنشاط اللغوي. وإذا نظرنا في مثال محدد لإبلاغ لغوي: "أمس حضر صديقي الخارجي وبقى للعلية الهالك"، فهذا

يعرض لسلسلة حالة. وهي ينبغي أن تكون نتيجة للإدراكات، التي تتركب من المعايشة البارحة، وتثار بشكل مجمل على نحو موجز وتخيلي في الذاكرة، وتنتقل إلى خيال السامع. هل ينبغي أن يتحدث المرء ثم عن حكم؟ ينتهي تذكر ما كان فيما سبق تمامًا إلى استحضار تام في الذهن: "اجلس... هناك يدخل من الباب..." هذه الحروف ربما لا نغمة ما يعد حقًا بشكل مؤكد، على كل حال يستطيع المرء أن يقول إن فيها تفيد نتائج أحكام سابقة منجزة في مرحلة سابقة، ولكن ربما لا تقع ملم حقيقي هنالك.

وضد نظرية الحكم يمكن أن يحتج سارتر أن المرء يستطيع أن ينجز في الجملة اللغوية معنى ناقصًا (كاذبًا) أو عبثًا أيضًا؛ فيعرض المرء ما هو غير موجود في نغمة ما يدركه، وما يقصد في الوقت نفسه: إنه ليس حقًا (صدقًا). ويوجد كذلك مجال كبير، يحيا من اللغة أيضًا، وتوجد أقواله في صيغة جملة، التي يمكن أن تعد صادقة موضوعيًا، وليست كذلك كاذبة؛ المقصود مجال الشعر. فهو يبتدع أحوالاً، ويشهدها تخيليًا، ولكن الحكم هنا ليس له مكان، فالأمر لا يتعلق بالمقولات "صحيح" و"غير صحيح"... فالمبدع مثل السامع أو القارئ يمكن أن يصعد بمعايشة شعرية إلى ما يعد صادقًا، ولكن ليس هذا ضروريًا، ولا يغير طبيعة الجمل.

وبخلاف جمل القص والتخيل، ومن جانب آخر الجمل المفسرة والحدية تتبع الجمل الخبرية أيضًا جمل الإحساس، فهي تقع قريبة من الإعلان. وقد تجاهلها علماء التركيب (النحو) كثيرًا، مثل بهاجل. ولكنها وصفت في الألمانية بشكل جيد "فرس رائع!" (في قول واقعي "هذه فرس ممتازة!")؛ - "ياله من مساء جميل!" -
"الشاب الأخرق!" - "أنت يا وغد!". وتعلن جمل ٦٥
الإحساس عن أحاسيس بما في ذلك إحساس بالقيمة. وهي تفتقد في هذا الشكل العادي حتى الوقت الحاضر البناء الجملي، فهي وصفية، وتفتقد أيضًا العنصر الرئيسي لأغلب الجمل الهندوجرمانية "الفعل المتصرف". ومن السهل أن تستكمل: هذا (يكون) مساء جميلاً. ولكن على هذا النحو أيضًا ما تزال الجملة وصفية، فمحمولها تعني

المساء يكون جميلاً". هذه الأخيرة لها كيفية أخرى، إذ تقرر موضوعي، ويمكن أن تتضمن امتداداً موضوعياً: "نستطيع أن نقوم بنزهة". وتستوعب جملة الإحساس الحال في كيفيات فعل الإحساس أو التقييم - لا ينفصل بينهما بشكل صارم، وفيما ترد ألفاظ مؤلمة للإحساس ومفترة للمعنى؛ فبدلاً من Pferd تذكر "Gaul"، الذي هو هنا لفظ تدليل، ولا يقع بينهما إلا اختلاف نغمة الإحساس. وشيء آخر، حيث يحل محل Pferd (فرس/حصان) "Mähre" مهر عجوز، فإنه حينئذ يتغير المعنى أيضاً، والمهر العجوز فرس غير جيدة.

ولم ينتبه هوسرل إلى أنه توجد جمل كاملة حسب مبدأ بناء وصفي في جمل الإحساس. فهو يُعنى بمجموعات جزئية وصفية ويلاحظ حول هذه أن بنية مثل "ساعي البريد المار مسرعاً" ليست حكماً، ولكن ترجع إلى حكم منجز في المرحلة السابقة. وهكذا ربما وجد قبل ذلك ما هو مقرر، ويكون "ساعي البريد يسرع في أثناء مروره". ومع ذلك فمثل هذا التوسيع لفعل الفكرة واللغة افتراضي، فهو يمكن أن يتم، ولكن لا يجب أن يكون قد تم.

ثمة شيء آخر: وصف الجملة اللغوية بأنها حكم يبدو لي أيضاً تبعاً للطبيعة الاجتماعية للغة. يفعل المرء الحكم لذاته؛ وبالنسبة للآخر يزعم المرء، إذ يريد المرء تأثيراً؛ ويمكن أن يزعم أيضاً ما هو خطأ حقيقة. ويمكن أن يميز بشكل جيد تقرير معايشة بسيط وزعم في الألمانية، على الأقل في أقوال الماضي؛ هنالك يقع تقرير لما مضى في زمن ماضٍ بسيط، والزعم في زمن ماضٍ تام مركب؛ سؤال رانكه عن الحكم المتحير لريكل: "هذا الربط لسلطة مطلقة شعبية بالخرافات دينية - فلسفية للاعتقاد الشعبي أحدث رد فعل، صار في أزمنة غير مريح. ومن يريد أن ينكر بوجه عام أن دوافع شخصية ثانوية في أزمنة قد أثرت في الأمور الكبيرة؟". في التقرير يقع هنا الماضي "rief hervor" (أحدث)، و"wurde" (صار)، وفي الزعم الماضي التام "eingewirkt haben" (قد أثرت). وفضلاً عن ذلك تظهر الجملة الخبرية أيضاً حكمية، حين يوجه المتكلم في التأمل على نحو رجعي إلى ذاته. "إذن فقد عاش" قال المرشح بصوت خافت في (ل) نفسه - لقد امتلك كتباً مثلنا" (ل. ف. ماير، لحظة من المنبر).

/ ويرجع كون المرء قد وصل إلى تحديد الجملة اللغوية بوجه تام بأنها حكم، بشكل جزئي إلى سوء حال الاصطلاح في الألمانية بوجه خاص، الاستعمال ذاته لكلمة "جملة" في المنطق والنحو. والأمر لم يكن هكذا دائمًا، ففي الألمانية القديمة سميت الجملة اللغوية "كلمة". وفي الوقت ما يزال يقول المرء "الرجل كلمة"، وهذه ينبغي أن تكون جملة" أيضًا. ومن جهة أخرى يبحث المناطقة أمثلتهم بمزية من ذلك المجال المنطوق لغوي، الذي له قرابة لصيقة بالمنطق، من جمل مفسّرة - نظريًا، وحدية، وبوجه خاص من جمل رياضية أيضًا. ولكن هذه ليست الأشكال المنطقية، والأصلية للغاية أيضًا للتخبير، فهي تبتعد عن الإنجاز اللغوي الطبيعي، الفعلي، وذهنية بشكل مقصود. ٦٦

النحو العام

يفتح هوسرل انطلاقًا من بعض نقاط بحوثه للمعنى نظرات إلى فرع أساسي لعلم اللغة، ممكن، منجز، قد يكون مجال حدي بين علم اللغة والمنطق: إلى نحو شمولي، افتراضي، نظام لأشكال الدلالة والمعنى المحضة الممكنة، قد لا يعفي عن الموضوعية المعينة للمشار إليه فقط، بل إلى حد بعيد أيضًا خصوصيات للأنماط اللغوية المفردة، ويقدم لكل لغة ملاحظة مفاهيم أساسية قابلة للاستعمال، بشكل مذهل، حين يستحضر المرء في ذهنه الاختلافات العميقة للأنماط اللغوية.(٢) يتسع ذلك في إطار وجهة نظر هوسرل تحديدًا، ومن دون ريب التفريق بين ما هو مستقل، وما هو غير مستقل، حسب اصطلاح قديم بين ما صلح للدلالة مقولية مستقلة، ومقولية غير مستقلة (كلمات)، رآه أرسطو، وحديثًا يؤكده بوجه خاص مارتي. وتقسم المادة اللفظية للغتنا إلى كلمات ذات معنى مستقل كاف في ذاته، مثل "شجرة" وتلك التي تتطلب المآل، ولا يمكنها أن تدل على معنى إلا في السياق، مثل الواو، ولكن، وحين - الأدوات: منْ، في "أكرم منْ"، ولـ "في" ما الأمر للإنسان"، وإلى "في" إلى النوم"، والظروف أيضًا، مثل "قبل، فوق... إلخ. والمعنى غير المستقل في ذلك ليس هو نفس المعنى لموضوع مستقل، والموضوعات

---

(٢) انظر بوجه خاص ف. ن. فينك، الأنماط الأساسية للبناء اللغوي. ١٩١٠.

غير المستقلة، مثل الحمرة، والمساواة يمكن أن تُستوعب في معانٍ مستقلة، مثل المعاني الاسمية، ويكون ذلك في الصيغ اللفظية المذكورة. وثمة نتيجة منطقية مهمة، تختص بجواز أقوال، تنتج عن التمييز بين معانٍ مقولية مستقلة، ومعانٍ مقولية غير مستقلة:
يُفرق لغويًا بين أقوال تُنشأ بشكل صحيح، وبشكل خاطئ، / وكذلك منطقيًا بين ٦٧
أقوال تُبنى بشكل صادق، وبشكل كاذب، وأخيرًا بين أقوال سارية وغير سارية تجريبيًا. ويضع هوسرل كمفرقًا بين غير معقول لغويًا وتناقض (تضاد) منطقي (يمكننا أيضًا أن نختار المصطلحات على نحو آخر)؛ ولاختيار ثالثًا بشكل صريح. ١- غير معقول لغويًا ما يخالف القوانين الافتراضية للنظام اللغوي للمعنى، مثل: "حين يكون أخضر" "ستديرًا و". هنا يخالف مبدأ أن علامات دالة ذاتيًا وبشكل مصاحب يمكن أن تتبادل في موقع ١ و ٢- يعني تناقض (تضاد) على العكس من ذلك، ما هو صحيح لغويًا، أي نظم مخطط دلالي منجز، ولكنه معكوس منطقيًا: "مربع مستدير"، و"حديد خشبي"، و"٢×٢=٥". ويضم هوسرل هنا أيضًا أقوالاً لا تتفق في صحة لغوية مع معرفة (خبرة)، مثل: "يوجد أشخاص خرافيون نصفهم الأسفل على شكل فرس". ولكن هنالك لا تكون الشروط هي ذاتها. وفي الواقع لا نجد مخلوقًا مزيجًا من إنسان وجواد وفقه كل خبرة فقط، بل غير ممكن أيضًا ونعرف قوانين معروفة للتناسب.
ولكن الجملة السابقة "توجد ثدييات في شكل سمكة" ربما كانت قد عُدّت لقرون غير معقولة أيضًا، ولكن تطابق الدلافين وأنواع أخرى من الحيتان هذا القول. وربما لم تُعد جملة ممكنة "يوجد بجع أسود" عن نظائر غير المعقول إلا حين اكتشفت أستراليا ووجدت هنالك هذه الحيوانات. وتخالف جمل النوع الأول القوانين اللغوية، ولا تقال، وتُعد جمل النوع الثاني صحيحة لغويًا، ويمكن أن تقال، ولكنها معكوسة منطقيًا. ويكون أداء المعنى مع بداهة غير ممكن. وفي الموضع الثالث لدينا أخيرًا جمل، تظهر أو ظهرت خاطئة تجريبيًا بالقياس للمعرفة الإنسانية، ولكن يكون تصحيح بناءً على معرفة (خبرة) ممكنًا وقد حدث إلى حد ما. وفي الواقع نريد أن نستثني هنا "أشخاصًا خرافيين نصفهم الأسفل على شكل فرس"؛ فالقوانين الطبيعية الملزمة المنزلة ذاتها تقريبًا التي للقوانين المنطقية.

ويمكن أن يمتد التفريق بين معانٍ مقولية مستقلة ومعانٍ مقولية غير مستقلة
من درجة الألفاظ بمعنى محدد إلى البنية أيضًا. ويستطيع المرء أن يقول
إن الجمل الفرعية مشاركة في المعنى، مثل الجمل الشرطية، ويمكن أيضًا أن تكون
مشاركة في المعنى مركبات (ضمائم) أصغر. وتقارن المرء المركب "أسفل
سماء الإله الرحبة" بالجملة الرئيسة في ذات "سماء الإله فضاء للجميع".
ولكن تفقد أيضًا كلمة مستقلة المعنى، مثل "شجرة" استقلال
(ليس، كما يعبر هوسرل، معناها)، حين يلتحم بـ (اتجاه علاقة)،
يُدمج فيه بمساعدة علامة تصريف، مثلًا علامة الإضافة: des Baum/es
(الشجرة). المعنى المستقل ما زال هناك، ولكن تجمع معه (لا يستطيع
المرء أن يعبر عندئذٍ إلا بشكل مجازي) العلاقة التي تحمل اللاحقة.
ونسمي أيضًا الصيغة "Baumes" كلمة، كلمة إذن اكتسبت
إضافة إلى معناه الأساسي معنى علاقي أيضًا. / بيد أنه في الأساس ٦٨
كل كلمة مفردة، اسم أيضًا في صيغة رفع، غير مستقلة المعنى، لأنه
يحتاج دائمًا إلى كل، ولا يكون مستقل المعنى إلا هذا الكل، الجملة، لأننا
نتحدث في جمل، وليس في كلمات مفردة، فهذا لا يفعله إلا الطفل حتى السنة
الثانية من عمره. وهو لا يفعل هذا إلا بشكل واضح، وكلماته جمل عامة.
بيد أنه ثمة شيء خاص في مقابل ذلك هو الكلمات التي لا يمكن
أن ترد في استعمال مستقلة، مثل "حين/إذا"، و"إلى"، فلدينا
معنى ملازم أو علاقي فقط. وسواء أسمينا هذا معنى أو أردنا أن
نشكل منها مجموعة خاصة من الكلمات العلاقية التي لا نعزو لها معنى
فعليًا فالمسألة مسألة تعريف. ربما أسمينا كلمات وظيفية، وتقع بعد
أسماء، وكلمات إشارية، وكلمات صيغية بوصفها المجموعة الرئيسة الرابعة، الأخيرة
في ثروتنا اللفظية. ويمثل الكم الرئيسي لهذه الكلمات الروابط وما نسمي الأدوات
ويتبع ذلك نصف الحروف فقط التي ليس معنى مستقل، وفي الغالب مكاني.
وتوضع ضمن الكلمات غير المستقلة أيضًا عناصر لغوية، أقل من كلمات، وهي
الإضافات (السوابق، واللواحق، والحشو). فيما مضى يمكن أن تكون من خلال
مزج كلمات صغيرة ذات معنى مساعد (حروف بعدية) في جسم الكلمة.[2] وتدخل

(٢) بيّن هذا بوضوح بوجه خاص في اللغات الفنلندية-المجرية ج ديترز، نهاية حالة إعرابية،
وحرف بعدي، مجلة الدراسات الهندو أوربية I (١٩٢٨)، ص ٢٤٤ وما بعدها.

على العناصر اللغوية ذات المعنى المساعد أيضاً تلك التي ليس لها حجم الكلمات
ولا حتى أجزاء الكلمة؛ وأشهر وسيلة لهذا النوع ترتيب المفردات، وإلى
جانبه توجيه النغمة، وكلاهما معاً خاص بجملة الاستفهام لدينا، قارن
"أيأتي؟" في مقابل "يأتي"، وتوجيه النغمة أيضاً بالنسبة لجملة الأمر
"تعال إلى هنا" إلى جانب "يأتي إلى هنا". وربما كان درس وظيفة
تلك العناصر ذات المعنى المساعد للبنية في توجيه الكلام جزءاً كبيراً من علم
الصيغ المحض الذي طالب به هوسرل، وينبغي أن تكون مطبقاً بوضوح
في لغات مختلفة، حسب مبادئ بنائها.

ويُقرَّر من ناحية تاريخ اللغة أن نظام أقسام الكلمة يوجد في
كل وقت في توازن غير مستقر فقط، إذ تقع باستمرار تغيرات جذرية،
بوجه خاص تتحول في ذلك معانٍ مستقلة إلى معانٍ غير مستقلة.
وهكذا ينتج رابطاً "wei" (لأن) من الاسم (Weile) في تراكيب
مثلاً في الألمانية الفصحى الوسيطة die wile daz وهو ما سُمّي في البداية
"بينما"، وبعدها انتقل من معنى زمني إلى معنى سببي. وتوجد
لغات تستغني عن وسائل مقولية غير مستقلة أو تقريباً، أو
تستخدم في موضعها كلمات تامة؛ هذا الأخير تفعله الصينية.
/ وتُحدِّد نوع التغيرات الدلالية المحتملة قوانين ذات طبيعة ٦٩
افتراضية، يوضحها هوسرل قدر الإمكان في لغة شكلية رياضية.
المعنى a له استمرار فقط في كل $(a\beta \ldots \mu)$، حيث لا تكون العناصر
الموضوعة معه $\beta \ldots \mu$ غير محددة، فهي محددة حسب المقولة،
ويكون أداء المعنى المادي لا غير ملزم. وفي تركيب "ع (موضوع)
هو ل (محمول)"، "الشجرة (تكون) خضراء" لا يمكن أن يحل محل
"ع" المستقل المعنى "a" ذو المعنى المساعد. "a هو ل" (حين
تكون أخضر) غير معقول. وما هو ممكن على العكس من ذلك مركب
"a ع ← ل" (حين تكون الشجرة خضراء). وحتى تستعمل هذه
القوانين للقيمة الموقعية بشكل صحيح يجب أن يراعي المرء أن المركبات
المقولية الأوضح في ثروتنا اللفظية التي يجب أن يعدها المرء من جهة
أساساً هي أقسام الكلمة، في ذات الأبعاد ليست متجانسة
"مساوٍ" مثل "أخضر" صفة؛ ولكن لا يستطيع المرء أن يقول: "الشجرة
مساوية". وهكذا يكون التساوي ضرورياً لمقولات جنسية أيضاً.

وفي الواقع تتبع "أخضر" و"مساوٍ" كلتاهما المقولة (قسم الكلمة) "صفة"، غير أن "أخضر" صفة كيف، و"مساوٍ" صفة علاقة. وعلى العكس من ذلك ربما كان صحيحًا "الشجرة خضراء" ولكن إلى جانب "اللون أخضر" ربما كانت جملة "اللون أحمر" من أخرى غير صحيحة، لأنه لا يضاف للمجال المعنوي للألوان إلا ألفاظ ألوان أو ألفاظ الشدة أيضًا.

ويمكن أن تُوسَّع بنية معنوية من نوع بسيط من خلال إدخال عناصر أو درجات جديدة، وهنالك تسري قوانين (المرادفات) مناسبة، ويمكن أن يضم جزء الجملة أو ربط مترابط بشكل محض "م - ن" معاني المقولة ذاتها إلى نفسه فقط، بحيث إنه ينتج توسع معنوي من النمط ذاته. فإذا كان "م" و"ن" معنيين اسميين من النمط ذاته، مثلاً كولن ودوسلدورف، فإنه يمكن أيضًا أن يُضاف "ق" (ديوسبورج). ويمكن أيضًا أن تقع جملتان في علاقة سبب ونتيجة: "إذا م، فإن ن"، حيث تنتج جملة مركبة، وربما يكون ممكنًا هنا توسيع جديد: "إذا م، فإن ن وإذن ق". وهكذا قد صار مجال البنية المعنوية بشكل افتراضي قابلاً للبناء حسب قوانين، استوعبت بوضوح البنية (بالجملة)، والمقولية (للمعاني المفردة). وبذلك، هكذا قال هوسرل، يؤتى بجزء رئيسي لتكوين العمل النظري إلى الوعي العلمي. وعلم الدلالة المحض، الذي توصف هنا ملامحه العامة، هو في الغالب "نحو محض". ونحن نسأل: كيف تعبر الألمانية، واللاتينية، والصينية عن جملة الوجود، وجملة الصدارة الافتراضية، والجمع، وكيفيات ما هو ممكن، ما هو محتمل، أو "كيف" "لا"؟

وفي قوانين البناء الافتراضية لمعنى الجمل تكون حاسمة من جهة بنية التكوين المعنوي، الذي تعالج القواعد في القسم "نحو"، ومما يكون، ومن جهة أخرى الكيفية، مقولية المعاني المنفصلة، ولكن ليس محتواها المادي. فكل كلمة في اللغة الهندوجرمانية تتبع، بغض النظر عن المعنى الفردي، مقولة أو في الغالب مقولات عدة أيضًا. ٧٠
وتشكل أقسام الكلمة الصيغ الرئيسية لهذا النظام المقولي في لغاتنا الهندوجرمانية: الاسم، والصفة، والفعل... إلخ، وداخل الأسماء أيضًا أسماء الفاعل، وأسماء الحدث... إلخ. وبحث مقولية الثروة اللفظية مهمة مُلحة لقواعد مؤسسة فلسفيًا. هنا يكون بشكل ملح السؤال القديم، إلى أي مدى تسير مقولات لغوية بشكل موازٍ

مع مقولات فكر مصطفى. وربما كان هوسرل ثمّ متفائلاً جدًا. وتوجد بالنسبة للمنطقى دائمًا خطورة أن يُضلّل من المقولات الموجودة للغة المفردة. ولم تخف عن أرسطو، فمنطقه منطق من لغة هندوجرمانية، وبشكل أخص من اللغة الجرمانية.

إن المقولات اللغوية فى الغالب إرث من الزمن المبكر للفكر الإنسانى. وثمة مقولة متحجرة خاصة للغات الهندوجرمانية (وبعض لغات ذات قرابة بعيدة مثل اللغات السامية) هى مقولة الجنس. وقد حافظت الألمانية على كثير منه بوجه خاص لمضايقة كل الأجانب المتعلمين الألمانية. لماذا يُسمّى der Ahorn (إسفندان) "مذكرًا"، ولكن die Eiche (شجرة البلوط) "مؤنث"، ليس بالفعل مدركًا بالعقل. ويندرج الجنس فى قرب أنظمة الأقسام، كيف توجد فى لغات شعوب كثيرة بدائية بدرجة أكثر أو أقل. هذه الأقسام مضبوطة غالبًا وفق وجهات نظر، ربما لا تتخذ بالنسبة لنا بشكل صريح ملامح جوهرية للفكر العالمى. ومنذ زمن طويل لم يعد التفريق الجنس النحوى أو فى الجزء الأصغر فقط تفريقًا جنسيًا، كما يرجع المصطلح، حقًا ربما كان ذلك منذ القدم فى المقام الثانى فقط. فهو منذ البداية ليس ذا طبيعة منطقية، بل انفعالية، وربما عد أساسًا تفريق القيمة، الذى قابل مفاهيم ذات قيمة تامة بمفاهيم ذات قيمة أقل قيمة، وفى ذلك استخدمت المقابلة "ذكر/أنثى" فى هذا التفريق بشكل براجماتى (جدولى) تقريبًا. هذا المعنى الأول لم يمح تمامًا، فهو يحيا باستمرار بشكل خلاق متجدد، وهكذا يقول المرء die Memmes (الجبان) و der Dragoner (التنين) (يتحدث عن امرأة تظهر بشكل ذكورى). وكان للأيسلانديين القدامى بالنسبة لنمط الناس هذا أيضًا وسم (وصف) مذكر، ولكن ذو وقع الحاد بشكل واضح: skorunger. وتسرى الكلمة فضلاً عن ذلك على الجنسين.

بناءً بالجملة

وإذا قدم المرء السؤال، إلى أى مدى للمقولات اللغوية قيمة فكرية حقيقية، فإنه تذكر أولاً عدة صور تفكير. ١- هذه المقولات إلى حد ما، كما رأينا، ذات أصل غير عقلانى، انفعالى. ٢- يضبط أيضًا الإنجاز المنظم عقلانيًا لوائح مقولات منتجة ببساطة بناءً على وجهات نظر أساسية ماوراء منطقية. وهكذا أنظمة الأقسام مثلاً التى تُفقد وتُصاغ مثل لغات كثيرة فى القارة الأمريكية، فهى تضبط على أساس موضوعى، حسب خواص حسية، ولكن بشكل أساسى وفق تشابهات ظاهرية للصيغة.

/ هنالك ترد مثلاً "شمس، وقمر، وأذن"، وأسماء مستديرة في قسم، 71
لأن هذه الأشياء دائرية. الأكثر عقلانياً وتعرفاً بالنسبة لنا أقسام
لغات البانتو. ٣- تلك المقولات التي تقدم بشكل إجباري خاصية
بناءً على عالم الموضوع، بناءً على ملاحظة الصنعة في رأينا، غير موجودة
في الغالب أو موضح شكله. ربما تظهر لنا بالكاد أية مقولات على
نحو طبيعي أكثر من مقولات الحدث وصاحبه (فعل - اسم، ينبح - كلب)
وشيء بخاصية (اسم - صفة، شجرة - خضراء). ولكن مثلاً لا تعرف
الماليزية تفريقاً واضحاً بين الاسم والفعل، وكذلك في الهندوجرمانية
المبكرة التفريق بين الاسم والصفة غير مؤكد. فكلاهما يتداخل بعضه
في بعض. وفي لغات البانتو أيضاً هذا الفصل ليس واضحاً، وفي
يغيب تماماً. وفي الصينية بشكل تام كل أوجه التفريق هذه لا توجد بشكل ملحوظ.
غير أنه في الصينية موجودة إلى حد كبير طبقات الثروة اللفظية التي نفرق بين
بوصفها أسماء، وألفاظ إشارة، وألفاظ صفية، وألفاظ لصفة. وربما هي أيضاً
أجزاء غير مشكوك فيها أكثر أصالة لنحو عام. ٤- مخططات النظام اللغوية ليست
ثابتة، فهي مثل كل شيء في اللغة في ذوبان مستمر، ومتحركة، وعرضة للمصادفة أيضاً.
فهي تنتج إلى حد ما بأنها تتجاوز مجال الموروث. وهكذا في مجال الهندوجرمانية
أنشئ الفعل في موقع يغطي كل شيء. ونريد أن نخصص له أيضاً ملحوظة
مختصرة. يقول المرء غالباً إن الفعل يدل على حدث أو حال، على كل حال شيء
ممتد في الزمن. ومن المرجح أن معناه الأصلي جداً رجع فقط إلى حدث أو بشكل
ضيق كثيراً إلى عمل (فعل): "أ يضرب ب". ولكن منذ زمن بعيد يشتمل
أيضاً على اختصاص، وفي ذاته خصوصية: الذهب يلمع، والسماء تصير زرقاء"
وأخيراً علاقة: "هو يشابه أخاه". وتقع الحالتان الأخيرتان خارج الزمانية،
التي تخص حسب التعريف تقريباً الفعل "لفظ زمني".

وتحت أفعال الحدث التي تعين مجال الفعل الأصلي للغاية يوجد متحداً
ما يتطلب تقسيمين تخصيص. ما يخص البشر في الحدث هو تارة فعل
(يضرب)، وتارة إصابة ("يسمع" معايشة سلبية لإحساس، و"يعاني"،
و"يموت" هما بشكل تام ليسا عاملين). بيد أنها تظهر في الألمانية، كما بوجه
عام في اللغات الهندوجرمانية بوصفها أفعال العمل، ويستطيع المرء أن
يقول هذا يعطي هذه اللغات خاصية إيجابية، بلا فعالة. وتفرق بعض
الشعوب هنا بشكل مفيد، مثل الجورجية. هذا يعني مع فعل حقيقي:

"mesmis" (أكتب)، ولكن حيث نعبر عن إحساس "vt 'ser" يرن في أذني (يدوي في). ولما تعمم الهندوجرمانية الصياغة الإيجابية، فإن الجرينلاندية مثلاً عممت التعبير السلبي؛ ولا نقال هنا موقفه فقط: "يدوي في"، بل هي أيضاً غير مناسبة للواقع، بالنسبة "أقذفه بعيداً" - "يهرب طائراً مع"، وحتى بالنسبة لـ "أقتله" - "يميتني". وهكذا هنا تكون النمط الهندوجرماني والجرينلاندي/ قد انحرف في الاتجاه المضاد عن طريقة التعبير الآلة الطبيعية. ٧٢

ويذكر أيضاً توسيع مجال الفعل، ما يسمى "الفعل المستتر"، الذي يشي (يعبر عن) بوجود في صيغة فعل حقيقية، أي مثل "عمل"، وبشكل أدق "وجود على نحو" أن شخصاً ما هو هذا الجوهر، هذه الحال، هذه المهنة. ولما يبنى التركي باللاحقة الفعلية للمتكلم -im "gel-im" (آتي)، فإنه يقول أيضاً "Katib-im" "أنا كاتب" و"[ben] gendz-im" "أنا شاب". وعلى نحو مشابه تبني الجرينلاندية "palasi-uwunga" (أنا كاهن). وفي الألمانية القديمة لا يغيب ما يشبه ذلك تماماً "ich herrschei" تعني في الألمانية الفصحى القديمة "hèrisōm" (أحكم/ أسود). هذا كان يعني في البداية "أنا سيد/ حاكم (ich herre)". ولكن لهذا الذي ينتج عن موقف السيد أن ينجز الإمكانية بشكل موجه لإرادته، أي "أن يسود/ يحكم"، يغلب بوصفه مضمون فعل، ويحصل الفعل على خاصية عمل ما.(٤)

ومن خلال مثال الفعل رأينا كيف تصف أوجه طلب المعيار للنحو عام بشكل مشروط للغاية فقط. والأبنية في واقع الأمر بالتأكيد مختلفة تقريباً حتى الأساس، ولذلك يجب أن يبقى مدى النحو الافتراضي الذي طالب به هوسرل مدى محدوداً. ويثور هنا أيضاً السؤال، إلى أي مدى يمكننا أن نرسم العالم في دروس ما يطوى داخل لغات مختلفة بمظهر مختلف، على نحو مماثل أو هل يجب أن نرى العالم أيضاً بشكل مختلف من خلال مرشح لغتهم. وكان رأي هومبولت، الذي أبدع مفهوم "الشكل اللغوي الداخل"، أنه يتضمن في كل اللغة نوع فكر العالم، "رؤية" العالم. وفي اللغات المختلفة يبرز العقل المميز لشعب ما، الذي يتلقى العالم إن صح التعبير من خلال وسيط لغته التي امتلكها أصلاً. وثمة شيء صحيح له بالتأكيد في أنه

---

(٤) لا يتسع ذلك استعمالات حالية، مثل "ينجر"، و"يمارس الطب"، فهي تعني اشتغالاً متتابعاً "هواية".

يوجد الشكل الداخلي الخاص للألمانية، للعربية... الخ. إنه يدرك بصعوبة،
وقد حاول فوسلر[٥] هذا بحدس قوي بالنسبة للفرنسية، وتشيزفسكي[٦] هذا بالنسبة
للروسية. والشرط في ذلك أن اللغة المفردة بنسيج من أقسام المعنى ومخططات
البنية هي بنية، وليست فوضى، أن نظاماً هناك في الزمن المعين، ولهذا هنا
أيضاً كما قال نيكولاي هارتمان إن المقولات لمجال وجود متقدم لطبقة من خلال
/قوانين كل (وحدة) الطبقات، وتحدد فيما بينها. فقط اللغة بدلاً مجال وجود بالأحرى ٧٣
مجال صيرورة أبدية. هذا هو المتناقض في جوهرها، إنها بوصفها وسيلة تفاهم
ينبغي أن تكون بنية مستمرة، وتخضع في إنجاز الفعل المستمر لتغير مستمر، إنما
يؤدي في البدايات بشكل غير واضح، وأخيراً غالباً إلى تغيرات مفوضة أساساً.
حينئذ تصير لغة فعلية بشكل بارز اسمية بقوة مثل السنسكريتية المتأخرة
وتصير لغات تأليفية، مثلما كانت الهندوجرمانية لغات تحليلية، ويكون توسيع
جديد تأليفي أيضاً ممكناً، على نحو ما تعطي الصينية الحالية لبعض تسويغ للافتراض.

---

(٥) ك. فوسلر، ثقافة فرنسا في مرآة تطورها اللغوي، ١٩١٢، ١٩٢٩ تحت العنوان:
ثقافة فرنسا ولغتها.
(٦) د. تشيزفسكي، حول خصوصية اللغة الروسية، ١٩٤٨.